مشكلات الترجمة

الترجمة نقل الكلمة المسموعة أو المقروءة من لغة إلى لغة أخرى ، وقد تكون اللغتان – اللغة المنقول عنها واللغة المنقول إليها – متقاربتين لاشتقاقهما من أصل واحد مثل اللغة الإيطالية واللغة الإسبانية ، وقد تكونان متباعدتين لا تجمعهما قرابة ولا تربطهما صلة مثل اللغة الإنجليزية واللغة العربية ، ولا نزاع فى أنه كلما تقاربت أصول اللغات ، استيسرت الترجمة ، وكلما اختلفت وتباعدت كان ذلك مدعاة لقيام العقبات وتكاثر المشكلات .

ويقول الأستاذ ثيودور سافورى فى كتابه عن فن الترجمة «كل إنسان يعتقد أنه لابد أن تكون الترجمة سهلة ، وأن فى وسعه أن يقوم بها إذا شاء وأنه أهل لأن ينقد هؤلاء الذين يمارسونها» وهذا حق ، وقد قابل المترجمون هذا الاستخفاف بفنهم والانتقاص من قدرتهم بإعلان الشكوى الدائمة من الصعوبات التى تعترض طريقهم وقلة حيلتهم فى التغلب على الكثير منها ، بل قد زعم بعض المترجمين أن هذه الصعوبات لا يمكن التغلب عليها .

ومبلغ علمى أن الكتب التى ظهرت عن أصول الترجمة ومبادئها فى الآداب الغربية قليلة ولا تخلو من تناقض ، أما فى الشرق العربى فإن موضوع الترجمة لم يلق حتى اليوم ما يستحقه من العناية والدرس ، وكثير من الآراء الشائعة عندنا عن الترجمة وطرائقها ينقصها الرجحان وتعمق مشكلات الترجمة وتقدير الصعوبات التى يصادفها المترجم .

وبودى أن أشير إلى خطورة الترجمة فى مختلف عصور التاريخ ، وبخاصة فى

عصرنا الحاضر ، فالترجمة مسألة جوهرية فى التفاهم الدولى والتقارب الأممى ، وقد وسّعت الجرائد والمجلات والإذاعة والتليفزيون آفاقنا الفكرية ولكنها فى الوقت نفسه تساعد على تأكيد الأخطاء الناشئة عن الجهل بأحوال الأمم ، والعجز فى فهم مختلف اللغات . وقد أصبح للكلمة المسموعة أو الكلمة المقروءة تأثير بعيد المدى عظيم الخطورة ، وزاد ذلك فى خطورة المزالق السياسية أو الفنية أو الثقافية أو اللغوية التى يتعرض لها المترجم ، والتبعات الملقاة على عاتقه فى مؤتمر قمة سياسى أو مؤتمر علمى أو أدبى تبعات ضخمة وتتطلب مواهب عالية من نوع خاص وتفوقاً ملحوظاً .

والترجمة ضروب وألوان ، ويمكن أن نميز فيها أربعة أنواع رئيسية ، وهذه الأنواع الأربعة المختلفة يلائم كل منها فريقاً من القراء ، وأول هذه الأنواع الترجمة الخاصة بنقل المعلومات والتى لا يعنى فيها بالجانب الجمالى فى التعبير ؛ وهناك ترجمة النثر الذى تطغى فيه أهمية الموضوع على أهمية القالب الفنى الذى أفرغ فيه ، وهناك ترجمة الكتب المدرسية فى مختلف نواحى المعرفة ، ثم هناك الترجمة الأدبية التى تتناول ترجمة الآثار الأدبية فى النثر والشعر .

ومن قراء المترجمات من يجهل اللغة المنقول عنها الجهل كله ، ومنهم من يريد أن تزداد معلوماته وتتسع آفاق معرفته ، ومنهم من له إلمام باللغة المنقول عنها ، وهذه الاختلافات فى طبيعة قراء المترجمات والأهداف التى يرومون تحقيقها تجعل إيجاد نظرية عامة للترجمة من الأشياء غير المتوقعة لأن كل نوع من أنواع الترجمة يختلف عن النوع الآخر ، كما أن مطالب قراء الترجمة مختلفة تبعا لتفاوت منازلهم واتجاهاتهم ، وقد يكون الهدف الذى يرمى إليه بعض فى قراءة المترجمات هدفاً نفعياً خالصا وقد يكون هدف الآخرين فنياً جمالياً ، ولكل لون من ألوان الترجمة مقياسه الخاص ، كما يستلزم إتقانه مراناً معيناً وإعداداً خاصاً .

وهناك عاملان يشوهان عمل المترجم ويفسدان عليه أمره ، وهما باعث الكراهة والحقد وعامل الجهل وقلة المعرفة ، ووسائل النقل من الواجب أن تكون أمينة سليمة ، وقد كان من جراء وقوع الأخطاء الناشئة عن الجهل أو التى كان باعثها سوء النية فى بعض المترجمات أن قذف المترجمون بتهمة الخيانة ، وقد حدث فى أثناء الحرب الكبرى الثانية أن أخطأ أحد المترجمين فى ترجمة كلمة «كادافر» (Kadaver) الألمانية بلفظة «جثة الميت من بنى الإنسان» فى حين أن استعمالها فى اللغة الألمانية مقصور على الجثث غير الإنسانية ، واعتقد الناس فى بلاد الإنجليز أن الألمان يستعملون جثث الموتى من جنودهم فى إعداد الدهن اللازم للذخائر ، مما أثار الاشمئزاز والنفور الشديدين فى نفوس الإنجليز ، ولعل أول ما تستوجبه مشكلة الترجمة هو تقوية الطلاب فى اللغات بوجه عام .

والألفاظ فى كل لغة تحمل دلالات شتى ، اجتماعية وأيديولوجية ، وقد تتجاوز هذه الدلالات معانى الكلمات من الناحية الصرفية والنحوية ، وبعض الكلمات فى إحدى اللغات قد لا يكون لها مقابل فى اللغات الأخرى لارتباطها بحادثة تاريخية معينة أو حدث اجتماعى خاص فى الأمة التى تتحدث بها ، كما أن بعض الكلمات تدل على عادات مألوفة فى حياة بعض الأمم أوجدتها ظروفها الخاصة وأحوال بيئتها ، وأمثال هذه الكلمات عقبة كأداء فى سبيل المترجم . وقد يخطئ المترجم فى فهم اشتقاق الكلمة فيضل ضلالا بعيداً ، وأذكر أن بعض أفاضل المستشرقين الذين تصدروا لترجمة كتاب ألف ليلة وليلة أخطأ فى فهم اشتقاق كلمة «مليحة» فظنها مشتقة من الملح لا من الملاحة وترجمها بمامعناه فى الإنجليزية «امرأة مملحة» (Salted Woman) . وأذكر أن مستشرقاً آخر فى طليعة المستشرقين المحدثين لم يلق باله إلى الفرق بين كلمتى «التعجب» و «الإعجاب» فى لغتنا العربية فترجم صدر البيت المنسوب لأبى العلاء المعرى

وهو قوله «عجبت لعيسى وأشياعه» بكلمة تقابل فى اللغة الإنجليزية معنى الإعجاب وهى كلمة (Admire)، وقد رأى المستشرق الكبير المعاصر السيد جيب أن يترجم كلمة «العيون» وهو ينقل اسم كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة بكلمة (Springs) الإنجليزية ومعناها الينابيع ، فى حين أن كلمة عيون هنا معناها الأخبار البارزة المنتقاة التى لها أهميتها ودلالاتها .

ولست أسوق هذه الأمثلة للانتقاص من قدر المستشرقين ؛ فإن فضلهم على اللغة العربية وآثارها لا يمكن إنكاره ، وإنما أتيت بها لتوضيح بعض الصعوبات التى تعرض للمترجمين . وقد اضطر الفرنسيون وغيرهم من الأمم إلى استعمال لفظة «جنتلمان» الإنجليزية لأنهم لم يجدوا لها مقابلا فى لغتهم . وأذكر أنى قرأت لأحد الكتّاب الإنجليز ملحوظة عن استعمال لفظة «معلش» الذائعة على الألسنة فى مصر ، وهى اختصار لقولنا «ما عليه شىء» ويقول الكاتب الإنجليزى : إن المصرى يدوس قدميك ويعتذر قائلا «معلش» أو تدوس أنت قدميه وتعتذر إليه فيقول لك «معلش» . وتشكو سوء الحظ فيعزيك ويواسيك بقوله «معلش» . ولكى تفهم معنى هذه الكلمة لابد لك من النفاذ إلى قلب المصرى ، وهى مركبة من هذه الكلمات «لا شىء علىّ» ومعناها «من فضلك لا تغضب أو لا تجزع وتقلق» ، أو «أن الحياة هكذا» ، او «استسلم للقضاء» . فالكلمة تحمل إيمان الشرقيين بالقضاء والقدر وقبول ما تجىء به الأقدار ، ومعنى قول المصريين «معلش» أى أن عليك أن تقبل المضايقة دون تذمر وبذلك تعفيه من تبعة الخطأ ، وحينما يحاول أحد المدرسين إنزال العقوبة بالطالب المقصّر يقول له الطالب «معلش» فإذا أصر المدرس على العقوبة يقول له أصدقاء الطالب «معلش» .

وواضح أن الكاتب الإنجليزى أراد أن يسخر سخرية خفية من وراء نقده

لاستعمال كلمة «معلش» ولكنه أصاب فى شىء هام وهو توضيح الظلال التى تلحق استعمال بعض الكلمات وتجعل نقلها إلى أى لغة أخرى يكاد يكون مستحيلا ، والفرنسيون ، على بلاغتهم وافتنانهم فى صياغة الألفاظ ، لم يجدوا فى قاموسهم ما يعادل كلمة (Home) الإنجليزية أو «المنزل» الذى نستعمله مقابلا لها فى اللغة العربية .

ومما يدل على صعوبة الترجمة وشدة استعصائها حتى على المترجمين المدربين أنك قلّ أن ترى ترجمة تجمع بين الأمانة والدقة وحسن الأداء وبلاغة الأسلوب ، كما أعتقد أن قلة الأجور التى تدفع فى العادة للمترجمين وقلة العناية بتقدير عملهم سواء من الوجهة الأدبية أو الناحية المادية من أسباب سوء الترجمة ، كما أعتقد أن التعاطف بين الكاتب المترجم والكاتب الذى ينقل عنه مدعاة لإجادة الترجمة ، وقل أن ترى عند الغربيين ترجمة واحدة لمؤلف بارز ، وقد قرأت مؤلفات الكاتب الروسى الشهير ترجنيف مترجمة إلى الإنجليزية بقلم المترجمة البارعة السيدة كونستانس جارنت ، وقد أثنى معظم النقاد الإنجليز على ترجمتها إلى حد أن بعضهم وصفها بأنها تشبه ترجمة الكاتب الألمانى شليجل لمؤلفات شكسبير إلى اللغة الألمانية . وهى تعد عند الألمان من الآثار الأدبية العظيمة ، ولكن هذا لم يمنع الكاتب المعاصر ماجرشاك من القيام بمحاولة ترجمة مؤلفات ترجنيف إلى اللغة الإنجليزية ترجمة جديدة ، ومن أسباب ذلك أن اللغة فى المجتمعات الحية تتطور تطوراً مستمراً ، ومتابعة التطور تستدعى القيام بترجمات جديدة تلائم الجيل الصاعد ، وترضى ذوقه وتماشى اتجاهه . وللإلياذة والأوديسا ترجمات عدة إلى اللغة الإنجليزية تمتاز كل منها بميزة خاصة تغلب عليها ، ويمكن أن نستخلص من ذلك فكرة عن صعوبة الترجمة . فمن أسباب تعدد الترجمات للطرف الأدبية المأثورة أن مزاياها الباهرة التى ضمنت لها

الخلود لا يمكن أن تستوعبها ترجمة واحدة .

وقد يستطيع المترجمون البارعون مغالبة صعاب نقل المؤلفات النثرية من لغة إلى لغة أخرى ، وقد يوفقون إلى حد ما ، ولكن صعوبة الترجمة ، وأستطيع أن أقول استحالتها ، تظهر فى محاولة نقل الشعر من لغة إلى لغة أخرى مهما تقاربت اللغتان فى الأصل والنشأة . وقد قال الشاعر الإنجليزى درايدن فى ترجمته لفرجيل «لقد حاولت أن أجعل فرجيل يتحدث بالإنجليزية كما لو كان إنجليزياً ولد فى إنجلترا وفى هذا العصر» . ومرد الصعوبة فى ترجمة الشعر إلى أنه شىء شخصى ، والشاعر الذى ينقل شعره من لغة إلى أخرى والمترجم العاطف عليه المقدر لجمال شعره شخصيتان مختلفتان ، ولكن برغم ذلك قد نجحت بعض المترجمات الشعرية ، والمترجم الذى يوفق فى ترجمة الشعر لابد أن تتوافر فيه صفتان ليس من السهل اجتماعها ، إذ يلزم أن يكون هو نفسه شاعرا ، ومهما كانت براعته ومعرفته بأسرار اللغتين — اللغة التى ينقل عنها واللغة التى يترجم إليها — فإن الترجمة لا ترتفع إلى المستوى الرفيع إن لم يكن عنده ملكة الشعر ، والذى يستطيع أن يؤدى ترجمة الشعر أداء مقبولا لابد أن ينظر الأشياء بعين الشاعر الذى ينقل عنه ويتقمص شخصيته ويشعره بعواطفه ، أى لا تعوزه الشخصية الشعرية وأن يكون معتمداً فى وحيه الشعرى على ما يتلقاه من وحى الشعر الذى ينقل عنه ، وليس ذلك كله بالأمر الهين الكثير الشيوع ، ولذلك يندر وجود الترجمات الشعرية الموفقة .

وموجز القول إن الترجمة ليست من الأمور الهينة السهلة . ومن أقبل عليها وهو يظن هذا الظن خير له أن يتركها ويعالج غيرها من الأمور ، والترجمة لا يمكن أن تحل محل الأصل المنقول عنه وإن كانت فى حالات قليلة قد تفوقه وتسمو عليه . وإن صدق هذا فى النثر فإنه قل أن يصدق فى الشعر ، ولعل فى

هذا ما يرد حجة القائلين بتوحيد لغات العالم ومحاولة جعلها لغة عالمية واحدة من أجل مصلحة الوحدة العالمية ، فلكل لغة مميزاتها الخاصة وظلال معانيها الوارفة التى لا نظير لها فى اللغات الأخرى ، والذين يعنون بما فى تجارب الإنسانية من ثروة وثراء ويحفلون بالجوانب الروحية فى حياة الإنسان الثقافية لا يقرّون محاولة إلغاء اللغات والاكتفاء بلغة عالمية واحدة من أجل مصلحة التفاهم الدولى .